"مَجالسُ الأدبِ ودورُها في تَفعيلِ المُمَارسةِ النّقديةِ"

Literature sittings and casts light on their role in enforcing the critical practice

أ. أحســن الصيـد♦

تاريخ الارسال: 11-06-2020 تاريخ القبول:08-08-2020

الملخّص: تتناول هذه الدّراسة مجالس الأدب، وتبيّن دورها في تفعيل الممارسة النّقدية، فقد كان لهذه المجالس دور في تأسيس النّقد العربي وإرساء دعائمه، فكانت أسواق العرب ومواسمهم مسرحًا فسيحًا لإبداء الرّأي النّقدي وتداوله، لذلك تحاول هذه الدّراسة التّركيز على أهم محطّات النّقد، وبعض المواقف النّقدية الّتي سادت في مجالس الأدب من الجاهلية إلى اليوم، وهي ليست دراسة تاريخية كرونولوجية للظاهرة بقدر ماهي بحث في هذا النّوع من المختلف من النّقد، الذي يصفه بعض الدّارسين بأنّه نقد مُجامل وناعم يفتقد لصرامة النّقد وموضوعيته. ويراه آخرون ناجعًا وفاعلًا.

كلمات مفتاحيّة: مَجالس الأدباء، المُمارسة النّقدية، الصّالونات الأدبية، النّقد العربي.

Abstract: The study tackles literature sittings and casts light on their role in enforcing the critical practice. These gatherings had a role in founding Arab literary criticism and establishing its tenets. Indeed, the Arabs' markets and their

♦المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، البريد الالكتروني:
hassanmwefek@gmail.com (المؤلّف المرسل).

feasts were an expansive space to elucidate and exchange the literary view. Therefore, the study tries to focus on the main critical periods and some critical attitudes that have prevailed in the literary sittings since the era of Ignorance (the pre-islamic era). However, th study is not a historical or a chronological review of the phenomenon; it is rather a research into this different genre of criticism that some scholars characterise as complimentary and mild lacking the rigour and the objectivity of criticism, while others consider effective

Key words: literature sittings. Critical practice. Literary salons. Arab literary criticism.

المقدّمة: ارتبط النّقد العربي بالخطاب الأدبي المنطوق والمكتوب، واهتمّ بتفسيره وتأويله، وتمييز جيّده من رديئه، وتحوّل هذا النّقد إلى صناعة لها أصولها وأسرارها يعرفها الخبراء العالمون بحقيقتها وخصوصياتها، فمنذ العصر العباسي ظهرت طبقة من النّقاد الأدباء اضطلعتبمهمة تقويم الكتابة العربية، وتوجيه الشّعراء والناثرين إلى دروب البيان والفصاحة، وقد كانت لهذه الطبقة نظرتها الخاصّة للعمل الأدبي كلّه كما كانت مدعومة بمنظومة من المقولات النّقدية الهامّة ولعلّ من أبرز أعلام هذه الطبقة الجاحظ؛ الذي يُعدّ المؤسّس الأوّل لهذه الطبقة من النّقاد،فيقدّم رؤيتها الخاصّة للعمل الأدبي كلّه فيقول:"**طلبت الشّعر عند الأصمعي، فوجدته لا يُحسن إلّا غريبه فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يُتقن إلّا إعرابه، فعطفتُ على أبي عبيدة فوجدته لا ينقلُ إلّا ما اتّصل بالأخبار وتعلّق بالأيّام والأنساب، فلم أظفَر بما أردتُ إلّا عند أدباء الكُتّاب، كالحسن بن وهب، ومحمد بن عبد الملك الزيّات.**[1]

يجمع الأديب بين هذه المذاهب والرؤى جميعا، ويُشكّل نظرته إلى الخطاب الأدبي من كلّ جوانبه اللّغوية والتّاريخية والفنّية، فالنّقد عمل شامل وجاد، يقترب من كلّ الاتجاهات ويخالفها، إنّه يُعلي من دور الذّوق الفنيّ، ويعتمد على الطّبع والبديهة الصّائبة، والارتجال، ويعتبرهما شرطين من شروط التّعبير الأدبيّ وعنصرين من عناصره التي تشكّل هويته ونوعه وفرادته ولا يمكنه الاستغناء عنهما.

اضطلع هؤلاء الأدباء ومنذ أوّليات الشّعر وبدايات نقده وتذوّقه بتوجيه حركة الشّعر والنّثر، وقاموا بتنشيطها وتقويم منجزاتها، فتتبعوا الشّعر إلى مجالسه ونواديه ولحقوه إلى قصور الخلفاء وحِلق المساجد، وجابوا معه الأسواق، ودور الغناء واللّهو وارتادوا معه المقاهي وزاحموه المكان، وتقاسموا معه المكانة والجائزة. فالنّقد يسير حيث سار الشّعر، لذلك لم يسلم من تُهمه ولم يبرأ من جرائره، فلحقته أخلاق الشّعراء من تكسّب وتودّد ومجاملة ومبالغة في الإطراء، وتصنّع الرّضى فالمداراة والمداهنة سمة هذا النّوع من النّقد، لزمته منذ أوّلياته فالنّقد في حضرة الخليفة والأمير والوالي لم يكن حرّا تمامًا، ولا محمود العواقب، فالخليفة سيّد المجلس وراعيه، وهو من يدير جلسات الاستماع ويحدّد شروط الامتحان، وقواعد اللّعبة، ولا يمكن للمدعويين سوى إظهار الاحترام والولاء والسكينة.

إنّ الخليفة هو من يجيز شعر الشّعراء وهو من يُجزل العطاء ويحدّد الجائزة وهو الحاكم بأمور الشّعر العالم بشؤونه، وهو محور الشّعر والنقد معًا: "**عندما يؤدّي الأمير ثمن قصيدة المدح، فإنّه يصبح مالكا لها، وبتعبير أصح ينبغي أن نقول إنّه يحتكرها، حتّى وإن لم يعترف الشّاعر بالجميل، فيكفي أن نعلم أنّ القصيدة موجهة إليه، كي تظلّ مرتبطة بشخصه على الدوام، ولا أحد يمكن أن ينازعه ملكيتها لمجرد أنّها تصف خصاله وفضائله..**"[2]

لم يكن وجود النّقد وملازمته للشّعر مأنوسًا دائمًا، فطالما ساد الخلاف بينهما واحتدم الصّراع، فقد يُفسد التعصّب للرأي أُنس تلك المجالس، ويُعكّر صفوها، فالنّقد في حضرة سيّد المجلس مُحرج ومُربك، وقد حكى الصّاحب بن عبّاد في كتابه عن هذا الخلاف الطبيعي بين النّاقد والشّاعر فقال: "**حدثني محمد بن يوسف الحمّادي قال:حضرت مجلس عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وقد حضره البحتري، فقال: يا أبا عبادة أمسلمُ أشعرُ أم أبو نواس؟ فقال: بل أبو نواس، لأنّه يتصرّف في كلّ طريق، ويتنوّع في كلّ مذهب، إن شاء جِدًّا وإن شاء هَزلا، ومسلم يلزم طريقًا واحدًا لا يتعدّاه، ويتحقّق بمذهب لا يتخطّاه، فقال له عبيد الله إنّ أحمد بن يحي ثعلبًا لا يوافقك على هذا فقال: أيّها الأمير ليس هذا من عِلم ثعلب وأضرابه لأنّه**

ممّن يحفظ الشّعر ولا يقوله، وإنّما يعرف الشّعرَ من دُفع إلى مضايقه، فقال: وريتك زنادي يا أبا عبادة، إنّ حكمك في عمّيك أبي نواس ومسلم وافق حكم أبي نواس في عمّه جرير والفرزدق، فإنّه سُئل عنهما ففضّل جريرًا فقيل له: إنّ أبا عبيدة لا يُوافقك على هذا، فقال: ليس هذا من علم أبي عبيدة، وإنّما يعرفه من دُفع إلى مضايق الشّعر.."[3]

يضيق النّقد بمجالس الخلفاء والعلماء ويتبع الشّعر إلى مجالسه الخفيّة، وعوالمه الفاتنة، فينزل معه إلى مجالس العامّة، يراقبه ويحاسبه حينا ويُجاريه ويجامله حينا آخر، فالنّقد والأدب صديقان لدودان متلازمان، يرتادان النوادي وحلقات المساجد ويقتربان من مجالس العامّة، ويتصلان بالذائقة الأدبية التي طالما احتضنتهما وتعصّبت لأحديهما؛ لذلك كانت مواسم العرب قديما مَعرِضا يعرض فيه الشّعراء أجود ما يملكون، ويُبدي النّقد رأيه الأخير في ما عُرض وتتحوّل أسواق العرب خلال العصر القديم إلى أسواق للشّعر والمال، يجتمع فيها الاقتصاد بالأدب، ويصبح السّوق مسرحًا لطيفا حافلًا بالفُرجة مُترعًا بالجمال: "**وفي هذه السّوق كان يخطب الشّاعر الفحل قصيدته، والخطيب المُصقع بكلمته، كما فعل عمرو بن كلثوم بطويلته التي سُميّت بالمعلّقة، وكما خطب قُس بن ساعدة الإيّادي حكيم العرب خطبته المشهورة التي شهدها منه الرّسول (صلّى الله عليه وسلّم) وهو يخطب النّاس على جمل أورق..**" [4]

إنّ مجالس العامّة كانت محضنا للأدب وللنّقد معا، فقد تحوّلت المقاهي خلال عصور الضّعف وحتّى العصر الحديث إلى مجالس للأدباء والشّعراء والنّقاد ومجالس للحكي والسّرد والفرجة، فظهر القصّاصون والحكواتيون والوعّاظ والمُذكّرون والمّجّان والزنادقة، واستطاعت هذه المقاهي تحريك المشهد الثقافي وتفعيله من جديد بعيدًا عن أضواء الشّهرة، وعيون السّلطة وفي أمكنة خفيّة ومُظلمة، كان الجميع ينعم هؤلاء بالحريّة والانطلاق: "**وفي أجواء (القهوة والنّرجلية) حفظت لنا (مقاهي الأدباء) هذا الجدل الواسع والكمّ الهائل من الذكريات والأشواق والطرائف والنوادر والمُلح..و(المقهى الأدبي) احتضن الروائيين والقصّاصين والشعراء والصحفيين**

وأهل الفن عامة، وفيه احتدّت نقاشات ساخنة حول انجازات العصر وقضاياه الفكرية والسياسية.."[5]

تحاول هذه الدّراسة تتبع حركة النّقد والأدب في مجالسهما المفتوحة والمغلقة عبر مسار الأدب العربيّ الطّويل، وهي لا تتخذ تاريخ النّقد العربيّ وأدبه سندًا أخيرًا لها إنّما تكتفي بعرض بعض المواقف القليلة من هذه المجالس قصد التعرف على طبيعة المواقف النّقدية وقيمتها؛ فالالمام بتاريخ المجالس والنوادي والمقاهي والصّالونات الأدبية يحتاج إلى عمل طويل وشاق، وتحقيق دقيق وشامل يضطلع به فريق من الباحثين وتدعمه مؤسّسات علمية ومخابر بحث، إلّا أنّ البحث في هذا المجال لا يخلو من أهميّة وفائدة، وهذه الدّراسة العابرة إشارة في هذا الطريق.

أ /العصر الجاهلي: يبدأ النّقد العربي القديم بمجلس النّابغة الذبياني في سوق عكاظ، هذا المجلس المفتوح، الذي يمثل أوّليات النّقد العربي وبداياته، ففي كتاب الموّشّح للمرزباني ذكرٌ لمجلس النّابغة الذبياني الذي كانت: «تُضرب له قُبّة حمراء من أدم، بسوق عكاظ فتأتيه الشّعراء، فتعرض عليه أشعارها، قال: فأوّل من أنشده الأعشى ميمون بن قيس أبو بصير، ثم أنشده حسّان بن ثابت الأنصاري:

لنا الجفناتُ الغرُّ يلمعن بالدُّجى ***وأسيافُنا يقطرن من نجدةٍ دَمـــا

ولَدْنا بني العنقـــــاء وابني مُحرّق*** فأكرمْ بنا خالًا وأكرمْ بنا ابنُما

فقال له النابغة: أنت شاعر، ولكنّك أقللت أجفانك وأسيافك، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك.." ويمضي النّاقد الأديب في تقليب شعر حسّان وفحصه والحكم عليه، قالوا:" **قال حسّان: "لنا الجفنات الغُرّ" ولو قال:"البيض" لكان أحسن، لأنّ الغرّة بياض قليل في لون آخر، وقال:" يلمعن بالدجى"ولو قال:"يشرقن بالدّجى" لكان أحسن، لأنّ الاشراق أقوى من اللّمعان والضّيف أكثر ما يجيئ ليلا وقال:"وأسيافنا يقطرن" ولوقال: "يجرين" لكان أحسن لأنّ الجري أكثر ما يكون من القطر..**

لم يكن كلام حسّان يتفق مع الواقع الاجتماعي العربي، الّذي يقدّس الشجاعة والكرم، ويبالغ في امتداح كل من يتّصف بهما، ولم يكن كلامه يساير الواقع اللغوي الذي كان يقتضي جمع الكثرة "جفون"و"سيوف، ويجافي جمع القلّة "جفنات"و"أسياف"

فالجمعان مختلفان، والمقام الشعري مختلف، لذلك كان الإقصاء والاخفاق مصير شاعر الغساسنة والمناذرة، الذي لم تزُقه طريقة التّحكيم، ولم تقنعه مبرّرات الإقصاء ليكتفي بالشّتم والاحتجاج خارج نصه الشّعري!

لم يكن السّؤال ليطرح عمّن أنشأ هذا المجلس للنابغة، وأعطاه هذه السلطة المطلقة وبوّأه هذا المقام العليّ، وجعله سيّد المجلس وأميره والآمر فيه؟ ولم يكن المكان مُغلقًا محاطًا بالحرس، بل كان قريبا من كل عابر سوق وطالب متعة ومتاحا لكلّ من يعرض سِلعة الشّعر ويريد معرفة قيمتها الحقيقيّة، ويميز رديء الشّعر من جيده وأصيله من دخيله، ولا مجال للغشّ والمخادعة والمضاربة، فصيحات النّقد تعلو في الأرجاء هذا: أشعر الناس! وهذا أشعر القوم! وذاك أشعر الإنس والجن! وهكذا.. فقد روى صاحب الموّشّح قول الرواة من قبله: "**كان النّابغة تضرب له قبّة حمراء من أدم في سوق عكاظ، وتأتيه الشّعراء، فتعرض عليه أشعارها، فأنشده الأعشى أبو بصير، ثم أنشده حسّان بن ثابت ثم الشعراء، ثم جاءت الخنساء السُلّمية، فأنشدته فقال لها النّابغة: والله لولا أنّ أبا بصير أنشدني (آنفا) لقلت: إنّك أشعر الجنّ والإنس، فقال حسّان: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدّك، فقبض النابغة على يده، ثم قال: يا ابن أخي إنّك لا تحسن أن تقول مثل قولي:**

فإنّك كاللّيلِ الّذي هو مُدركي* وإنْ خِلتُ أنّ المُنتأى عنكَ واسعُ** [6]

تضطرب المقاييس وتختلف، ويميل الحكم النقديّ إلى التعجيز، ويصبح ضربًا من المستحيل: "على أنّ عبارة أشعر الناس تذرنا بالسّعي وراء الحدود القصوى للأشياء مرّة أخرى، فليس يرضي العربيّ أن يكون هناك جميل، وجيّد، بل لا بدّ من الأجمل والأجود ولا يرضيه في المرأة أن تكون محبوبة، بل لا بدّ أن تكون هذه المحبوبة أجمل النّساء، ولا يرضيه أيضا أن يكون الشّعر مُعبّرًا عن صاحبه،تعبيرًا صادقا..فلا بدّ أن يكون أشعر الإنس والجن، وإنّ الأمر ليبدو أغرب عندما نلاحظ أنّ النّابغة حكم للأعشى بأنّه أشعر الناس، لأنّه تقدّم في الزمن على الخنساء حين أنشد شعره..."[7]

يتغيّر المجلس، ويُبدّل مقام النّابغة، ويتحوّل من ناقد إلى منقود، ولا يعترف المجلس الجديد بماضيه وبسبقه ومكانته القديمة، فحين خرج النّابغة من مجلسه

المهيب سقطت عنه صفة العصمة، ووقع في قبضة النّقد وأحكامه القاسية، فالرّجل الذي دانت له رقاب الشعراء يرفض آراء الناقدين ويُنكرها، حتى عُقد له مجلس يشبه مجلسه، ولم تكن صاحبة القبّة الحمراء سوى جارية، تُجيد ترديد اشعار النّابغة وتُحسن تطويعها وإلانتها، فصاحب الموشّح يذكر في خبر عن النّابغة، الذي لسبب غير معروف يقع في محضور الشّعر ويخترق قواعده فقال: "حدثني إبراهيم بن شهاب قال: حدّثنا الفضل بن الحُباب عن محمد بن سلام قال: لم يقوِ أحد من الطبقة الأولى ولا أشباههم إلّا النابغة في بيتين قوله:

أَمِنْ آل ميّة رائحٌ أو مُغتدي *** عجـــــلان ذا زادٍ وغير مزوّد

زعمَ البوارحُ أنّ رحلتنـــــا غدًا *** وبِـــــداك خبّرنا الغُراب الأسودُ

وقوله:

سقطَ النّصيف ولم تُرد إسقاطَهُ *** فتنـــــــاولتهُ واتقتنا باليـَــــدِ

بمُـــــخضّب رخصٍ كأنّ بنانَه *** عنَمٌ يكادُ من اللّطافة يُعقدُ

فقدم المدينة، فعِيب ذلك عليه، فلم يأبه له حتّى أسمعوه إيّاه في غناء وأهل القُرى ألطف نظرًا من أهل البدو، وكانوا يكتتبون لجواريهم أهل الكتاب، فقالوا لجارية: إذا صِرت إلى القافية فرتّلي، فلمّا قال: "الغراب الأسود و"باليدِ" علِم فانتبه، فلم يَعُد فيه وقال: قدمتُ الحِجاز وفي شعري صَنعة ورحلتُ عنها وأنا أشعر النّاس.."[8] يُخطىء النابغة خطأ شاعر مبتدىءٍ، ولم يتخلَ عن عبارته القديمة: "أنا أشعر الناس"!

لقد كان النّقد الجاهلي في عمومه انفعاليا تأثريا، يقوم على الذّوق والفطرة والسّليقة، ويحتكم إلى الأعراف الاجتماعية والقبلية، كما كان للبداوة دور كبير في تبرير أحكامه، والنّاقد في مجالس الشّعر والأدب شديد الوثوق ببديهته التي كثيرًا ما تسعفه، وفراسته الأدبية التي نادرًا ما تخيب، ولكنّ الذوق لم يكن واحدًا والبديهة لم تكن صائبة عند الجميع: "والذّوق الأدبّي ليس صورة واحدة لا تختلف من ناقد إلى ناقد، بل إنّه يختلف بين النّاس لعوامل متعدّدة، بعضها يرجع إلى أصل الاستعداد والموهبة والبعض الآخر يرجع إلى العوامل المحيطة من بيئة وثقافة، وهذا الاختلاف هو الذي يجعلنا لا نضيق ذرعًا بتعدّد الآراء الّتي تقابلنا في التّفسير الأدبيّ.."[9]

لم تكن قوانين النّقد صارمة بما يسلب الشّاعر حريته الفنيّة، وحقّه في البوح فخيوط النّقد كانت واهنة، وشفّافة سهلة الاختراق، وحصون النّابغة وقبابه الحريرية، لا تلبث أن تهوي في شعاب سحيقة، وتتمزق تحت وقع النّقد وسطوته.

ب/ صدر الإسلام: بمجيىء الإسلام تراجع اهتمام النّاس بالشّعر، وسكت كثير من الشعراء على قول الشعر، وهبط مستوى التّعبير الشّعري عند بعضهم، فقد انبهر أغلب الشعراء ببلاغة القرآن وبيانه، وإعجاز لفظه ومعناه، ولم يعد الشّعر من أوّلويات المجتمع الجديد، ولا من شواغله، فقد هدأت ريح الشّعر قليلا بعد أن كانت قويّة خلال العصر الجاهلي، وقد أسهم الخطاب القرآني في هذا الوضع، حين عرّض بالشعراء وحذّرهم من الغواية والضلال والكذب: "وبعد ظهور الإسلام ونزول القرآن نزل الشّعر عن مكانته له، بل إنّ القرآن هاجم الغُلاة من الشّعراء، واعتبرهم من المضلّلة، مثلهم مثل الكهّان والسَحرة الراجمين بالغيب، والقائلين بغير علم، وجاء القرآن بنمط جديد من القول، ليس شعرًا، وليس سجعًا، ولا خطابة، ولاقصصًا، وهو مع هذا يتحداهم ببلاغته وروعة أسلوبه، وأثره البليغ في القلوب، فبهت العرب لبلاغة القرآن وهم أصحاب اللّسن وأرباب البيان.."[10]

لم يحتفظ التّاريخ بأحاديث المجالس الأدبية، فالأكيد أنّها تراجعت وأصبحت تقليدًا جاهليّا، طواه الماضي فمجالس النبوّة لاتتسع لأحاديث الأدب والشّعر، فهي مترعة بذكر الله وهدي النبوّة، وبلاغة الرّسول الأكرم (صلّى الله عليه وسلّم)، ولانكاد نعثر عن مواقف يلقى فيها النبّي الكريم الشّعراء ليُطارحهم شؤون صناعتهم، أو يُبدي رأيه فيما يقولون، وبقيت مواقف عابرة، حفظتها السّيرة العطرة، كما حفظتها كتب السّير والأخبار، كموقفه (صلّى الله عليه وسلّم) من قصيدة كعب بن زهير بن أبي سلمى حين عرضها عليه، وموقفه من شعر النّابغة الجعدي حين دخل إلى مجلسه، ناطقًا باسم قبيلته، مُعلنًا إسلامها: "أتى رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– وأنشده:

أتيـــتُ رسولَ الله إذ جـــــــاء *** بالهدى ويتلو كتابًا كالمجــرّة نيّرا

بــلغنا السّماءَ مجدُنا وجـدودُنا *** وإنّا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: إلى أين يا أبا ليلى؟ فقال إلى الجنّة. فقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –إن شاء الله وأنشده:

ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكن *** له بوادرُ تحمي صفوَهُ أن يُكــدَّرا

ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكن *** له حليمٌ إذا ما أوردا أصــدرا

فقال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–لا يفضضِ الله فاك.

قال: فبقي عمره لم تنفضّ له سنٌّ"[11]

لقد سار الخلفاء الرّاشدون على هدي النبي الكريم، فأنّى للشّعراء أن يتخذوا من مجالسهم مكاناً وموقعًا؟ رغم ما عُرف عن بعضهم من دراية بالشّعر، وعلم بروايته فالرّوايات تذكر اهتمام الخليفة عمر بن الخطاب بالشّعر، وخبرته في فهمه: يقول ابن عباس :قال لي عمر ليلة مسيره إلى الجابية في أوّل غزوة غزاها: هل تروي لشاعر الشّعراء؟

قلت: ومن هو؟ قال: الذي يقول:

ولو أنّ حمدًا يُخلدُ النّاسَ أخلدوا *** ولكنّ حمدَ النّاسِ ليس بمَحمَد

قلتُ ذلك زهير: قال: فذاك شاعر الشّعراء، قلتُ وبمَ كان أشعر الشّعراء؟

قال: لأنّه لا يُعاضِل في الكلام، وكان يتجنّبُ وحشيّ الشّعر، ولا يمدح أحدًا إلا بما فيه"[12]

ج/العصر الأموي: مع انتقال الخلافة الإسلامية من الحجاز إلى الشّام بعد قيام الدولة الأمويّة، ومع اتخاذ دمشق حاضرة لها بعد المدينة المنوّرة والكوفة أصبح القصر الأمويّ محجّة الشّعراء المادحين الطّامعين في المال والسّلطة، فالتفّ حول البيت الأمويّ كثير من فحول الشّعراء كالفرزدق وجرير والأخطل، فتفنّنوا في المدح وأبدعوا في الهجاء، وتخصّصوا في المناقضات الشّعريّة، التي كانت سوق المَربد والكُناسة مسرحًا لها، وقد تحوّل الهجاء إلى فرجة واستعراض شعريّ باهر، وكان لكلّ شاعر نقيضةٍ أنصاره ومريدوه، فالهجاء صار لعبة الجماهير: "وفي ظلّ هذه اللعبة الجديدة، وفي أرجاء الملعبين الكبيرين في المربد والكُناسة، وتحقيقًا لأهداف هذه اللّعبة من اجتماع الجماهير الملتفّة حولها، اندفع شعراء النّقائض يتبادلون السّباب العلنيّ، والشتائم المقذعة، التي تتعرض للأمهات والزوجات والأخوات، غير مبالين بما فيها من افتراء على الحقّ وجرأة على الاتّهام بالباطل.."[13]

لقد كان للسياسة الأموية دور كبير في توجيه حركة الشّعر، وحركة النّقد، فقد قرّب خلفاء بني أمية منهم فحول الشعراء، وعقدوا لهم مجالس الأدب، وأذكوا نار الخصومة بين المتنافسين، ولم يقف هؤلاء بعيدًا عن حلبة الصّراع ومعارك الأدب فقد كانوا الطّرف الذي يتحكّم في قواعد اللّعبة، ولم تكن الحنكة الأدبيّة تنقصهم وهم عرب تعلّموا الأدب وأخذوه عن العلماء والمؤدبين، فهذا معاوية بن أبي سفيان يوجّه عبد الله بن الحكم إلى الأدب الذي يريد فقال له: "يا ابن أخي إنّك شهرت بالشّعر، فأيّاك بالنّساء، فإنّك تغرُّ الشّريفة في قومها، والعفيفة في نفسها، والهجاءَ فإنّك أن تُعادي كريمًا، أو تستثير به لئيمًا، ولكنّ الفخر بمآثر قومك، وقُلْ من الأمثال ما تؤثر به نفسك، وتؤدّب به غيرك."[14]

يقدّم الخليفة رؤيته للشّعر، ويترجم معرفته به، وكيف يؤثّر على النّفوس، فالشّعر التزام أخلاقيّ والخليفة يعرف خطورة الكلمة الشّاعرة، وهو يُزجي النّصح لشاعر لا يزال في أوّل الطريق، يبصّره بمزالق الشّعر وبمحاسنه ومعايبه، هذا الخليفة يعرف أيضا كيف يستدرج الشّعراء إلى قصره، ويغويهم بالمال، ويفتنهم بسحر البيان، وقد أسّس لتقليد جديد في قصره، يقوم على جمع الشّعراء ومطارحتهم شؤون الأدب، ولم يكن مجرد متفرج عمّا يدور في مجلسه، بل كان يُوّجه الحديث ويُوّجه الشّعراء، وقد يحاسبهم على ما تسوّل لهم قرائحهم من كلام يوافق ذوقه ولا يخدم سلطته، ولا ينوّه بفضائله على النّاس، وقد دأب الخلفاء من بعده على هذا التّقليد، فكانت مجالسهم حافلة بالشّعراء والغاوين لشعرهم.

لم يعد الإنسان العربيّ خلال هذا العصر وحيدًا في جزيرته، فقدد دخلت أعراق جديدة في الدّين الجديد، وجلبت معها عاداتها وثقافاتها، وظهرت مجالس الطرب والغناء، ودور اللّهو، ومعها منتديات الشّعر والأدب، وظهر الشّعر الغنائيّ وأصبح على كلّ لسان: "وما للمكيين والشّعر التّقليدي وما يرتبط به من مديح وهجاء؟ فقد أصبحوا مترفين، وأصبحوا ينعمون بألوان وفنون من الحضارة أزالت ما في نفوسهم من وحشة وقسوة وخصومة وحِدّة، وهيّأتهم لهذه المعيشة الفنيّة الخالصة من الشّعر والغناء والموسيقى، فطبيعي أن لا يغنّوا إلّا بالشّعر الغنائي، وأن يكون كلّ حياتهم وكلّ مواهبهم وكلّ حواسهم وخواطرهم."[15]

ارتقى الذّوق العربيّ ومعه الذّائقة الأدبية، التي كان الخلفاء والأدباء والعلماء والفقهاء يمثلونها، ويسيرون بها نحو النّضج الفنيّ، ونهض النّقد الأدبي في محاولة لتوجيه هذه الحركة الأدبية ودعمها: "وقد عُرف العصر الأموي بكثرة المجالس والمنتديات الأدبية،التي كانت تنعقد في المدن والحواضر العربية من مثل مكة والمدينةودمشق والبصرة والكوفة، كما نهض النّقد الأدبي في العصر الأموي بفضل اهتمام الخلفاء ومن قلّدهم في مجالسهم الأدبيّة، وكذلك لاهتمام النّاس في منتدياتهم ومجامعهم في غير تلك المجالس بالمفاضلة بين الشّعراء، كالذي كان يحدث بالنسبة لشعراء النقائض كجرير والفرزدق والأخطل، فكان الاهتمام بالشعر وروايته ونقده عاما لدى الناس في كل بيئة ومدينة من بيئات ومدن المجتمع العربي في هذا العصر.."[16]. لقد تضافرت عوامل عديدة، وأسهمت في خلق مناخ أدبّي ملائم، ظهرت فيه الموازنات والمفاضلات، وكان الخليفة الأديب يدعو لمجلسه نخبة الشّعراء ويصطفي أجود الأشعار، ويرعى شؤون الأدب تماما كما يرعى شؤون الرّعية، فالأدب جزء من السياسة ووجه من أوجه السيّادة والقوّة في هذه الدولة، وهو يدير كلّ ذلك بمعرفة أدبية وحسٍّ نقدي صادق، فهو صاحب الفطرة العربيّة النقيّة، التي تطرب للشّعر وتستعذبه، وهو راوية الشّعر المتعصّب لقديمه، يحاجج الشّعراء، وقد يتفوّق عليهم: "سمرَ عبد الملك ذات ليلة، وعنده كثيّر عزة، فقال له: أنشدني بعض ما قلت في عزّة ، فأنشده هذا البيت:

هممتُ وهمّت ثم هابت وهِبتها *** حياءً ومثلي بالحياء حقيقُ

فقال له عبد الملك: أمّا والله لولا بيت أنشدتنيه قبل هذا لحرمتك الجائزة! قال: ولمَ ياأمير المؤمنين؟ قال: لأنّك شركتها معك في الهيبة، ثم استأثرت بالحياء دونها قال: فبأيّ بيت عفوت به عنّي يا أمير المؤمنين؟ قال قولك:

دعوني لا أريد بها سواها* ** دعوني هائمًا فيمن يهيمُ "[17]

لم يعد الخليفة مجرد سامرٍ يطرب للحديث ويستلذّه، ويجزل العطاء ويضاعفه، بل أصبح محور الشّعر ومَداره، وناقده ولا أحد يجرؤ على مناقشة الخليفة والتعقيب على كلامه، والأمثلة كثيرة عن مجالس معاوية وعبد الملك بن مروان، والحجّاج بن يوسف وغيرهم. ولم تكن سيّدات مكة والمدينة بمنأى عن هذه الحركة، ولم تكنّ بعيدات عن

هذا النّشاط الأدبيّ والنّقدي الّذي شهده عصر بني أمية، فصاحب العقد الفريد يذكر كيف كانت السيّدة سُكينة بنت الحسين أديبة ناقدة، تقعد للرّجال وتقوم أشعارهم فيقول:" كانت سكينة بنت الحسين أديبة ظريفة، تقعد للرّجال ويغشى ناديها الشّعراء فقالت يومًا لكُثيّر عزة: أأنت القائل:

فما روضةٌ بالحزَن طيّبة الثّــرى*** يمجُّ النّدى جَثْجاثَها وعِرارَها

بأطيبَ من أردان عزّة موهنًا وقد *** أوقدتْ بالمَندل الرَّطبِ نارَها

أيّ زنجية منتنة تتبخّر بالمَندل الرّطب إلّا طاب ريحها؟ ألا قلت كما قال سيّدك امرؤ القيس:

ألم تريانـي كلّما جئت طارقًا*** وجدتُ بها طيبًا وإن لم تطيّب"[18]

لم تكن السيّدة سكينة سيّدة هذه المجالس الأدبية وحدها، فقد عقد كثير من الأديبات في هذا العصر وقبله مجالس للشّعراء، وتحوّلت نواديهنّ إلى حلقات تتناول قضايا الأدب، ومن هؤلاء الثريّا بنت علي بن عبد الله بن الحارث الأمويّة، وعقيلة بنت عقيل بن أبي طالب، وقد جمع صاحب الأغاني كثيرًا من أخبارهن ومواقفهن من شعراء عصرهن ممّا لا يتسع المجال لذكره.

د/ العصر العبّاسي: إنّ ما يميّز العصر العباسي من امتزاج الثقافات وتفاعلها وتطوّر الحياة العباسية في جميع نواحيها، قد فسح المجال واسعا أمام الأدباء والشّعراء لاختيار مجالس الأنس، يناقشون فيها أمورهم ويتقاسمون هموم صناعتهم، فكانت مجالس بغداد في هذا العصر حافلة بالنّوادر والمُلح، والمواقف الأدبية والنّقدية الطّريفة، فقد جمع الزّجاجي أخبار مجالس العلماء، وجمع ثعلب أخبارًا كثيرة في مجلسه، وكذلك فعل أبو الفرج الأصفهاني والمرزبان وغيرهم.، وكانت المناظرات تحتدم في قصر الخليفة، الذي كان يحتار أحيانًا لمن ينتصر وأين يقف؟ومن أشهر المجالس في بغداد خلال هذا العصر:

-مجلس المأمون ومقره دار الخلافة؛

- مجلس يحي البرمكي.

- مجلس أيوب بن جعفر بن أبي جعفر، وقد قال فيه صاحب النّجوم الزاهرة: "قال خلف بن المثنى: كان يجتمع بالبصرة عشرة في مجلس لا يعرف مثلهم: الخليل

بن أحمد صاحب العروض سنيّ، والسيّد الحِميريّ الشّاعر رافضيّ، وصالح بن عبد القدوس ثِنويّ، وسفيان بن مجاشع صُفريّ، وبشار بن برد خليع ماجن، وحمّاد عجرد زنديق، وابن رأس الجالوت الشّاعر يهوديّ، وابن نظير النّصراني متكلّم، وعمرو بن أخت المؤيّد مجوسي، وابن سنان الحرّاني الشّاعر صابئيّ، فيناشد الجماعة أشعارًا وأخبارًا فكان بشار يقول: أبياتك يا فلان هذه أحسن من سورة كذاوكذا، وبهذا المزاح وغيره كفّروا بشّارا.."[19]. يصوّر شوقي ضيف الحياة الأدبيّة في العصر العباسي، ويقدّم وصفًا دقيقًا لحركة الأدب فيه فيقول: "ويُخيّل إلى الإنسان كأنّما كانت أزواد المعرفة والثّقافة ملقاة في كل مكان بأمصار العراق، وهي حقّاً كانت مطروحة في الطرقات معرّضة لكلّ الأيدي فأبواب المساجد مفتوحة على مصاريعها لكلّ الواردين ومثلها دكاكين الورّاقين ولا مصاريف تطلب للتّعليم، والتّعليم مجانا من حق الجميع، وكان لذلك آثار بعيدة.."[20]

ويذكر التوحيدي في كتابه "المقابسات" أخبار المجالس في عصره، وهي مجالس للعلماء والأدباء، فقد أورد خبرًا في مجلس السيرافي فقال:" قلت لأبي محمد الأندلسي-وكان في عداد أصحاب السيرافي-": قد اختلف أصحابنا في مجلس أبي سعيد السيرافي في بلاغة الجاحظ وأبي حنيفة صاحب النبات، ووقع الرضى بحكمك فما قولك؟ فقال: أنا أُحقر نفسي عن الحكم لهما أو غلبهما فقلت لا بدّ من قول: قال أبو حنيفة أكثر نداوة، وأبو عثمان أكثر حلاوة، ومعاني أبي عثمان لائطة بالنّفس سهلة في المسمع، ولفظ أبي حنيف أعذب وأعرب، وأدخل في أساليب العرب.."[21]

لقد جمع أبو العبّاس يحي بن ثعلب (200-291هـ) الأحاديث التي دارت في مجلسه وسمّاها مجالس ثعلب، ذكر فيها ما كان يدور في مجلسه من أحاديث وما جُمع فيه من أخبار ونوادر، وما شغل عصره من قضايا اللّغة والأدب، وهكذا كانت المجالس في هذا العصر وسيلة للتّعليم والتأديب، وقد حاول أبو القاسم عبد الرّحمن بن اسحاق الزجاجي (ت340هـ) أن يقيّد أخبار مجالس العلماء في عصره ويركّز على المسائل النّحوية واللغويّة في ذلك العصر، وقد احتفظ تاريخ الأدب بمسامرات خلفاء بني العباس، ومواقفهم من الشّعر والشّعراء، وما كان في مجلس هارون الرشيد من أحاديث: "وفي مجلس الرّشيد، كان الرّشيد واسع المشاركة، وكان لا يكتفي

بالحضور والسّماع أو السّؤال بل كان يشارك بنفسه وعلمه، فيستنتج ويناقش ويفسّر ويوضّح، ويعيش الموضوع بكل جارحة من جوارحه، وكأنّه لا يقلّ خطورة عن شؤون السياسة أو أمر الحرب، كاشفا بذلك عن معرفة بالنّحو وتمكّن منه يبدي ملاحظته ويُقوّم أخطاء الأدباء وأهل اللغة.."[22]. كانالبلاط العبّاسي محج للشّعراء، ومكانًا للمنافسة على الجوائز والهبات، كما كان مكانًا يُمتحن فيه الشعراء، ويُختبرون اختبارًا عسيرًا قد يصل إلى حد القتل، فقد يشتاط غضب الخلفاء من تجاوز الشّعراء ويضيقون بما يقولون، ويأوّلون كلامهم حسب المقام، فمن يحضر المجلس يجب أن يكون فطناً حذِرًا، فقد تزلّ به قدمه حين يريد إعراب الكلام فيعجمه. اختار سيف الدولة الحمداني كبار شعراء عصره، من أمثال أبي الطيّب المتنبي وأبي فراس الحمداني، وغيرهم، فتنافسوا في مدحه ونيل رضاه، وكان التحاسد والتآمر سيد هذا المجلس، بعد أن كانت المجالس مكانًا للسّمر والمُلح والتّرويح عن النّفس تحوّلت خلال الدولة الحمدانية إلى ميدان للتباري والدّسائس فالممدوح الحلبي عرف كيف يجمع أشتات الشّعراء، ويشعل نار الحرب الشعريّة بينهم، فقد فَقَدَ المتنبي صوابه وهوبين خصومه وأنداده فقال:

يا أعْدلَ النّاس إلّا في معاملتي *** فيك الخصام وأنت الخصم والحكمُ[23]

فثارت عليه ثائرة الأصدقاء والأعداء، ومنهم سيف الدولة ذاته، وتحوّل النّقد في مجلس الأمير الحلبيّ إلى حلبة صراع تواطأت كلّها على المتنبي وتحالفت على الانقلاب عليه، وطرده من بلاط أقام فيه طويلًا وصدح فيه بأجمل الألحان، وأجود أشعار المديح، فقد انحاز النّقد للطرف المتحالف، وحشد أسلحته ليفتك بالشّاعر المتعالي: "كان لا يكاد يستقرّ في مكان حتى يُثير حول نفسه الحسد، والبغض وألوان الخصومات، وحتّى يدع هذا المكان مغاضبًا لأهله، أو هاربًا منهم..فهو قد غاضب النّاس جميعًا، وألّب الدّولة الإسلاميّة كلّها على نفسه،فأيّ غرابة أن يكبر من أمره ما صغر ويعظم من أمره ما هان."[24] لم تختلف مجالس الأندلسيين عن مجالس العباسيين، وقد اشتهرت شاعرات الأندلس بمجالسهن الأدبيّة، كمجلس الأميرة ولّادة بنت المستكفي التي استقطبت أعلام الأدب الأندلسيّ، وفرسان الشّعر فيه، وقد كانت على قدر كبير من الحُسن والبهاء وعذوبة الكلام: "شاعرة من شواعر وأديبات

الأندلس، كانت جزلة القول، حسنة الشّعر، فكانت تناضل الشعراء، وتساجل الأدباء، وتفوق البرعاء، حسنة المحاضرة مشكورة المذاكرة ،مشهورة بالصيانة والعفاف، فكان مجلسها بقرطبة منتدى أحرار المصر، وفناؤها ملعب بجياد النّظم والنثر، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرّتها ويتهالك أفراد الّشعراءوالكتّاب على حلاوة عشرتهاوعلى سهولة حجّابها،وكثرة منتاها..."[25]. خرجت الأميرة الأندلسية عن تقاليد القصر، وتمرّدت على أخلاق النّبلاء والأشراف، فقربت منها الشّعراء وارتادت مجالسهم، واختارت لها مجلسا كان يحضره أعلام الشعر الأندلسيّ، كابن زيدون، وابن عبدوس، وابن القلاس وغيرهم من أعلام الشّعر الأندلسيّ، ولم تكن الشّاعرة نزهون الغرناطية لتخرق هذه القاعدة الجديدة فكان مجلسها يستهوي الأدباء والطامعين في ودها "قال في المغرب: من أهل المائة الخامسة ذكرها الحجازيّ في المسهب، ووصفها بخفّة الرّوح، والانطباع الزّائد والحلاوة، وحفظ الشّعر، والمعرفة بضرب الأمثال، مع جمال فائق وحسن رائق وكان الوزير أبو بكر بن أبي سعيد أولع النّاس بمحاضراتها ومذكراتها ومراسلتها..."[26]

لم تخرج تقاليد الأندلسيين في المغرب عن تقاليد العباسيين في الشرق، وقد كان للحريّة الاجتماعيّة الّتي تمتعت بها المرأة الأندلسيّة دور في تنشيط الحركة اللأدبيّة والنّقديّة، فقد برزت أسماء شعرية لامعة، كعائشة بنت أحمد القرطبية، ومهجة بنت عبد الرزاق الغرناطية، ومريم بنت يعقوب الأنصاري، وحمدونة بنت زيّاد المؤدِّب صاحبة الشّعر الرقيق والوصف الدقيق، والتي عرفت بأبياتها في وصف الوادي حين قالت:

أباح الدّمعُ أســـراري بوادي *** لـــــه للحُسن آثارُ بـــــوادي
فمن نهرٍ يطوفُ بكـــلِّ روضٍ *** ومـــن روض يرفّث بكلِّ وادي
ومن بين الظباء مهـــــاةُ إنس *** لُبـــــــّي ومقد ملـــكتْ فؤادي
لهـــــا لحظٌ تُرقّـــــدهُ لأمـــــرٍ *** وذا الأمرُ يمنعني رقـــــــــادي
إذا أسدلـــــــت ذوائبها عليها *** رأيت البدر في جنح الدآدي
كأنّ الصُّبحَ مات له شقيقٌ *** فمن حُزنٍ تسربلَ بالحِـــــداد"[27]

لم تكتفِ شواعر الأندلس بتقديم ملاحظاتهن عن شعر الشّعراء، بل شاركن في تنشيط تلك الحركة، وقُمن بتوجيهها من خلال مواقف نقدية كثيرة، ومن خلال نظم الشّعر، وممارسة الكتابة الأدبيّة، وتحوّلت قصور الأمراء إلى ميدان تعرض فيه الشّاعرات أجود ما لديهن، وكانت هذه الحركة مدعومة بحركة غناء ،جعلت الشّعر فاكهة الأمراء والسّلاطين، وحديث السّمر والمنادمة في قصور الأندلسيين: "وشاع الغناء، انتشرت مجالس الطّرب في قرطبة، وفي كثير من الأمصار، وفي جذوة المقتبس، وطبقات الزبيدي، والذّخيرة وغيرها من كتب الأدب الأندلسيّة، أخبار طويلة عن مجالس الأنس والطرب، وما يدور فيها من شعر ونشيد وغناء"[28]

هـ/ العصر الحديث: ظهرت النوادي والمجالس الأدبية في العصر الحديث من جديد، وعلى غرار الحياة الأدبية الغربية، نشأت الصالونات الأدبية التي تُعقد في الغالب في منزل شخصيات أدبية وثقافية وسياسية معروفة يحضرها الأدباء والفنانون والمثقفون لمناقشة قضايا الفكر والأدب والسياسة فمنذ مطلع القرن التاسع عشر ظهرت في أوروبا صالونات الأديبات الفرنسيات، وقد صارت تقليدا أدبيا نسائيا درجت عليه النّساء اللاّئي شُغلن بالثقافة والنّقد والفلسفة والترجمة، وبرز اسم "جيرمين نيكر" التي عرفت بمدام دي ستايل (1766-1817)(Madame de Stael) " التي أسهمت في تأسيس الدّرس الأدبيّ المقارن، وعَرّفت الفرنسيين بالأدب الألماني وبروائع الأديب غوتة"Goethe" (1749-1832)، كما عُرف صالون الأديبة جورج صاند(1804-1876)"George Sand"الذي كان يحضره كبار أدباء أوروبا وفرنسا في عصرها، من أمثال فلوبير وأرنست رينان ودوما والأمير جيروم بونابرت وأديب فرنسا فيكتور هيجو، ولم تكن تلك الصّالونات منتديات للتسلية وتزجية الفراغ بل اضطلعت بتوجيه الحركة الأدبية والثقافية والاجتماعية والسياسية أيضا،فكانت تُصدّر الأفكار للعالم الغربي، وتسهم في تقريب الرؤى وتسعى للنهوض بالأدب، ولم تلك الصالونات متاحة لعامة النّاس فقد ظلّت مجالس للنّخبة وللخاصة، أو خاصة الخاصة. لقد بلغ تأثير هذه الصّالونات إلى البلاد العربية، وفي القاهرة ظهر أوّل صالون في قصر الأميرة "نازلي فاضل"(1853 -1914)، ابنة الأمير مصطفى بهجت فاضل، ابن إبراهيم باشا، ابن محمد علي باشا الكبير، وكان يحضر صالونها

قاسم أمين وسعد زغلول، ومحمد المويلحي،وفي بلاد الشّام ظهر في مدينة حلب صالون نسائي تعقده الأديبة العربية "ماريانا مرّاش"(1848-1919)، ولكنّ أشهر صالون أدبي كان للأديبة الكبيرة" مي زيادة "(1886-1941) والذي كان ينعقد كلّ يوم ثلاثاء، تدير الأديبة الشّابة مجلسها بكل اقتدار، وتستقطب الأسماء الأدبيّة والسياسيّة والفنيّة اللاّمعة، وقد أُحيطت بكبار رجال القرن وعمالقة الأدب العربي، مثل إسماعيل باشا صبري، ومنصور باشا فهمي، ووولي الدّين يكن، ولطفي السيّد والشيخ رشيد رضا، والشيخ علي عبد الرازق،وخليل مطران،وحافظ إبراهيم،وعبّاس محمود العقاد، ومصطفى صادق الرافعي، وأحمد شوقي وغيرهم من أعلام الثقافة والأدب في مصر. وقد استطاعت مي أنّ تجمع من حولها خلال ثلاثين عاما هؤلاء جميعا وتُذكي روح النّقاش والمنافسة والغيرة بين هؤلاء، فالواضح من خلال ما قدمته مي أنّ النساء لم يكنّ زائرات لهذه الصّالونات ولسن عابرات، بل كنّ سيدات هذه المجالس وهنّ من يُدرن شؤونها، ويتدبرن أمورها. يبرز اسم صالون العقاد مقترنا بصاحبه الذي فضّل أن يكون الفكر والأدب والفن معه، يقاسمه بيته يؤنسون وحدته ووحشته، فقد كان صالونه يُعقد كلّ يوم جمعة ويمتد لساعات طويلة في مسكنه بمصر الجديدة، يحضره مشاهير الأدب والفن والسياسة والفنون، كما يحضره تلاميذ العقاد والمعجبين به، ومن رواد الصّالون محمد خليفة التونسي، وأحمد إبراهيم شريف، ومحمد طاهر الجبلاوي، وعبد الفتاح الدّيدي، وعبد الحيّ دياب، وأحمد حمدي إمام، وسيّد قطب وأنيس منصور، الذي كتب عن هذا الصالون الأدبي كتابا ضخما جمع فيه يومياته في مجلس العقاد، وسجّل بعدسته اللّاقطة تفاصيل المكان، وما دار فيه من أحاديث ومواقف، ووصف لحظة دخوله للمجلس المهيب فيقول: "وكان صالونه الأدبي يوم الجمعة من كل أسبوع،.. وكانت رحلتنا إلى بيت العقاد تبدأ يوم الخميس، فنظلّ نتحدث عنه وعن ندوته السابقة ابتداءً من يوم الخميس، ثم نمشي على أقدامنا إلى مصر الجديدة، تماما كما يفعل الحُجّاج عندما يسافرون من المغرب إلى الأراضي المقدسة، ويكون المشوار حديثا عن العقاد قبل أن نراه، ونسارع إلى شارع العقاد.. فلم نكن نرى ولا نسمع، وإنّما ندّخر الرؤية للعقاد، وندّخر السّمع لكلامه.. وقد كان رأسي مثل راديو صغير مضبوط على موجة واحدة، فالمؤشر لا

يتحرك إلى محطات أخرى، فلا محطات أخرى، إنّه العقاد وهذا يكفي.."[29]. لم تكن تلك الصّالونات مجالس للتّرف، وملاذا للنّخبة كما يقدّمها بعض الدّارسين فقط، بل كانت منارة أدبية وثقافية، اهتدى بها التائهون في طريق الفكر والفن والأدب. انتشرت المقاهي الأدبيّة في العالم العربي، وعرف بها نجيب محفوظ، ومقهى الفيشاوي، والمجالس الأدبية في القاهرة القديمة، والتي جمعها الروائي الكبير "جمال الغيطاني" في كتابه: "المجالس المحفوظية" وظهرت النّوادي الأدبية في الشّرق والغرب، وحتّى في بلاد المهجر، مع شعراء الرّابطة القلمية، وشعراء العُصبة الأندلسية، وصار الشّعراء والأدباء جماعات معروفة، منها الرّابطة القَلمية، وجماعة أبولو، وجماعة الدّيوان،وجماعة شّعر وغيرهم، ولازال الأدب العربي محافظا على هذا التّقليد الأدبي العريق، فمن صالون ليلى بعلبكي بلبنان، إلى صالون سعاد الصبّاح بالكويت، إلى صالون أحمد عبد المعطي حجازي، وصالون ميسون السويدان، وأدباء آخرون في المشرق والمغرب وفي الخليج العربي، وظهرت الصّالونات الافتراضية على شبكات التواصل الاجتماعي، وانتشرت النّوادي الأدبيّة على شبكات النّت ولازال الأدب والنّقد رفيقين متلازمين فيها.

وخلاصة القول فقد كان لمجالس الأدباء دور في تنشيط الحركة الأدبية والنّقدية عبر تاريخ الأدب العربي الطويل، ورغم ما يُرمى به هذا النّوع من النّقد على أنّه نقد أرستقراطي ناعم ومجامل، ينبني على الإطراء واللّباقة وهوعندهم نقد منفعل،عابر وليد اللّحظة الرّاهنة، مرتجل؛ يقوم على المداهنة والتملّق أحيانا، إلاّ أنه كان في النّهاية نقدًا جريئًا وبنّاءً، اشتغل في الخفاء والعلن، وارتاد الأماكن القصيّة والخفيّة والفضاءات المفتوحة والمغلقة، ذكر محاسن الشّعراء ومساوءهم، ولم يلتزم الحيّاد فكانت مواقفه مؤثّرة وفاعلة، تصدر عن نخبة الأدباء والمجتمع، وآراؤه رغم إيجازها وارتجالها، لا تخلو من فائدة وقيمة.

الإحالات:

1- الجاحظ (عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون مكتبة الخانجي، ط7، القاهرة، 1998.ص.122

2 -عبد الفتاح كيليطو: الكتابة والتناسخ، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي دار توبقال،ط1 الدارالبيضاء، المغرب ص2

3-الصاحب بن عبّاد: الكشف عن مساوىء شعر المتنبي،تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين،مكتبة النهضة ط1 بغداد. 1955 ص32

4-مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ج1، دار ابن حزم، ط1، بيروت 2008، ص53.

5-رشيد الذوادي: مقاهي الأدباء في الوطن العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب جمهورية مصر العربية 1999 ص7.

6 - المرزباني: الموّشّح في مآخذ العلماء على الشّعراء، تحقيق محمد حسين شمس الدّين، دار الكتب، ط5،لبنان 1995،ص 51وما بعدها.

7- عاصم قصبجي: أصول النقد العربي القديم، منشورات مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، سورية 1991 ص11.

8 - المرزباني: المصدر نفسه ص51.

9- مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، في النقد الأدبي العربي القديم، مكّة للطباعة، المملكة العربية السعودية، 1998 ص12.

10- زغلول سلام: تاريخ النقد العربي حتى القرن 4الهجري ص78.

11- ابن قتيبة: الشّعر والشعراء، ج1، تحقيق أحمد محمودشاكر، دار المعارف جمهورية مصر العربية،1958، ص289.

12- أحمد طه إبراهيم: تاريخ النّقد الأدبي عندى العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري ص34.

13- مي يوسف خليف: الاتجاه الإسلامي في القصيدة الأموية، دار الثقافة العربية جمهورية مصر العربية 1993 ص331.

14- ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، شرح وضبط إبراهيم الأيّادي، المجلد الخامس دار الكتاب العربي، بيروت 1990ص358.

15- شوقي ضيف: الشّعر والغناء في المدينة ومكة في عصر بني أمية، دار الثقافة جمهورية مصر العربية،1967، ص.303

16- مصطفى مصطفى عطا : المجالس الأدبية في العصر الأموي وأثرها في النقد والأدب، دار المعارف،جمهورية القاهرة 2003ص06

17- ابن عبد ربه: مصدر السابق، الجزء الخامس ص 364.

18- المرزباني: المُوّشّح مصدر سابق ص184.

19- جمال الدين يوسف بن تيغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج2 منشورات وزارة الثقافة، القاهرة،1963 ص.29

20- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي- العصر العباسي الأول- دار المعارف،ط16 جمهورية مصر العربية،2004، ص127.

- أبو حيّان التوحيدي : المقابسات، تحقيق وشرح حسن السندوبي، دار سعاد الصبآح للنشر،ط2، الكويت 1992، ص58.

22- هاشم علي محمد: الأندية الأدبية في العصر العباسي في العراق حتى نهاية القرن 3 الهجري، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1982، ص 123.

23- أبو الطيب المتنبي :ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح أبي البقاء العكبري، ج3، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (دت) ص366.

24- طه حسين: مع المتنبي: مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، القاهرة جمهورية مصر العربية 2012 ص ص86،87.

25- عمر رضا كحّالة: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج5، مؤسّسة الرسالة، سوريا (دت) ص 287.

26 - أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب تحقيق إحسان عباس، ج4، دار صادر، بيروت 1988، ص 295

27 - المصدر نفسه، ج4 ص288.

28- رضوان الدّاية: تاريخ النقد في الأندلس، مؤسسة الرسالة، ط2، سوريا 1993 ص.29

29- أنيس منصور: في صالون العقاد كانت لنا أيام: دار الشروق، ط3، جمهورية مصر العربية 1993، ص8.